الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي مصادرها وعواملها ودلالاتها وطرق اكتسابها

The moral sense in Islamic thought, its sources, factors,
significance, and methods of acquisition.

إعداد

أ. د. عصام كمال المصرى

أ. آية ماهر محمد محمد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

باحثة ماجستير

بقسم الفلسفة

كلية الآداب جامعة دمنهور.

دورية الإنسانيات - كلية الآداب - جامعة دمنهور -

العدد (65) - الجزء الثالث - 2025

الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي مصادرها وعواملها ودلالاتها وطرق اكتسابها

أ. آية ماهر محمد محمد
أ. د. عصام كمال المصرى

الملخص

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد، نحن الآن أمام إشكالية سببت أزمه يحاول العالم الآن إيجاد الحل النهائي لها، فالأخلاق والتربية الحسنة والفضيلة والمثل العليا كانت ولا زالت محطه الاهتمام لكل الفلاسفة والمفكرين عبر العصور منذ أنكسمانس حتى العصر المعاصر، وعلية تناولت الدراسة أولاً: مصادر الحاسة الخلقية وعواملها، فكان من مصادرها الضمير والذي لاقى الكثير من الخلط بين الباحثين الذين نحوا أن الضمير والحاسة الخلقية شيء واحد، فجاء الإسلام بثلاث مصادر للضمير (القلب - الفطرة - النفس)، ونجد أيضاً علاقة قوية تربط الإلزام الخلقى بالحاسة الخلقية، والذي يمثل حدر الأساس واللبنة الأولى في قيام الحاسة الخلقية، ثانياً: دلالات الحاسة الخلقية عند أتباعها في الإسلام، فكان البحث عن الخير والشر والفطرة الطيبة من أهم لنقاط التي تم تناولها عند أتباع الحاسة الخلقية في الإسلام، فكان الاستشهاد على كفاءة أداء هذه الحاسة عن طريق إصدار الأحكام الخلقية، لذا كان الحاسة الخلقية وانعكاسها على الفكر المجتمعي والإعلامي من أبرز دلالات الحاسة الخلقية عند أتباعها.

تناولت الدراسة العنصر الثالث، والذي جاء بعنوان الحاسة الخلقية وطرق اكتساب الأخلاق، والذي جاء بأن النفس البشرية في حالة تأهب كامل واستعداد مستمر لاكتساب العديد من المهارات والسلوكيات اليومية، فتناولنا خلال هذا العنصر الحاسة الخلقية بين الفطرة والاكْتساب، فجاء الاتجاه الفطري يحتج بما يفعله الأطفال من سلوكيات فطرية الحاسة الخلقية ونحى الاتجاه الثاني والذي يؤكد على أنها سلوكيات مكتسبة بالتربية، والتوجيه والتعلم، وعلية تناولت الدراسة أسس وبناء واكتساب الحاسة الخلقية، وخلالها تناولت الحاسة الخلقية على أنها الأساس الذي جاءت به الكتب السماوية والشرائع محته الإنسان على تنظيم علاقته مع بني جنسه ومع ربه وكل ما يحيط به، ليحقق السعادة، التي سعت لتفسيرها كل فلسفات العلوم، فتناولت خلال هذا العنصر أيضاً، طرق اكتساب الأخلاق الحسنة والتي تعددت الطرق فكان أهمها (سلامة العقيدة، ومجاهدة النفس، الدعاء،

ومحاسبة الذات، وتجنب الغضب، مصاحبة أهل الأخلاق والفضيلة، والتفكير والتدبر في السنة النبوية).

في النهاية تناولت الدراسة وسائل تربية الحاسة الخلقية، فرغم تعدد وسائل تربية تلك الحاسة، إلا أن القرآن الكريم كان ولا يزال منبعاً فياض لتربية الحاسة الخلقية، فيخضع الحس الأخلاقي لإصول التربية وقواعدها، فنجده قابل للتربية والتنمية، وفق ممارسة قواعد الخير ودراسة كمال فضائل الأخلاق، وفق مواعظ الهداية والنصائح الربانية ويتم ذلك وفق ما يسمى بالترغيب والترهيب.

All praise is due to Allah, we praise Him and seek His help. We seek refuge in Allah from the evils of our own souls and the wickedness of our deeds. He whom Allah guides, none can misguide, and he whom He misguides, none can guide. We are now facing a problem that has caused a crisis for which the world is now trying to find a final solution. Ethics, good upbringing, virtue, and high ideals have been and still are the focus of attention of all philosophers and thinkers throughout the ages, from Anaximans to the contemporary era.

Therefore, the study first dealt with: the sources of the moral sense and its factors. One of its sources was the conscience, which was the subject of much confusion among researchers who thought that the conscience and the moral sense were one thing. Islam came with three sources of conscience (the heart, the instinct, and the soul), We also find a strong relationship between moral obligation and the moral sense, which represents the foundation and first building block in the establishment of the moral sense. Second: The implications of the moral sense for its followers in Islam. The search for good, evil, and good nature was one of the most important points that were addressed by the followers of the moral sense in Islam, the evidence for the efficiency of this sense was provided by issuing moral judgments. Therefore, the moral sense and its reflection on societal and media thought were among the most prominent indications of the moral sense among its followers.

The study addressed the third element, which was titled “The Moral Sense and Methods of Acquiring Morals,” which stated that the human soul is in a state of complete alert and continuous readiness to acquire many daily skills and behaviors, the instinctive approach came to argue with the innate behaviors of children, the moral sense, and the second approach took the side, which confirms that they are behaviors acquired through education, guidance and learning. Therefore, the study dealt with the foundations, construction and acquisition of the moral sense.

During it, the moral sense was discussed as the basis upon which the heavenly books and laws came, urging man to organize his relationship with his fellow human beings, with his Lord, and with everything around him, in order to achieve happiness, which all the philosophies of science sought to explain, During this element, it also discussed the ways of acquiring good morals, which were many, the most important of which were (the soundness of belief, the struggle

of the self, and supplication, Self-accountability, avoiding anger, keeping company with people of good morals and virtue, and thinking and contemplating the Sunnah of the Prophet.)

Finally, the study addressed the means of cultivating the moral sense. Despite the multiplicity of means of cultivating this sense, the Holy Quran was and still is a bountiful source for cultivating the moral sense, the moral sense is subject to the principles and rules of education, and we find it capable of cultivation and development, according to the practice of the rules of goodness and the study of the perfection of moral virtues, according to the sermons of guidance and divine advice This is done according to what is called encouragement and intimidation.

مقدمة

موضوع الدراسة وأهميته

الأخلاق هي منظومة من المبادئ والسلوكيات التي تنظم المجتمع عامة وحياة الأفراد خاصة فقد أتى الله سبحانه وتعالى على نبيه بحسن الخلق فقال " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" (1) فكان أمر الله سبحانه وتعالى بحسن الخلق، لذا تمثل الأخلاق جانباً هاماً من جوانب الحياة التي اهتم بها الإسلام، فالكثير من المشكلات التي طرأت علي مجتمعنا اليوم أخلاقية ولا نبالغ إذا قلنا معظمها، فلو نظرنا إلي تقدم الأمم لوجدنا أن الأخلاق هي أول لبنة قام عليها بنیان التقدم، فيتخذ من الأخلاق عنوانه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الأخلاق فقال صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (2)، ومنها فتحفظ الأخلاق المجتمع من مظاهر الفساد والرزيلة لترتقي بسلوك أبنائه إلى قيم الحق والفضيلة، فيصبح مجتمع أكثر صلابة وقوة.

وأيضاً جاء الكتاب والسنة النبوية يحملان في طياتهم الكثير والكثير من الدلائل على أهمية الحاسة الخلقية والتمسك بفضائل الأخلاق والتتزه والتعالى عن السيئ منها، فالأخلاق هي صحة الإيمان وقوته، فجاءت الديانات برمتها تحس على التمسك بمكارم الأخلاق، ومنها بما أن البشر جميعهم خلقوا بفطرة أخلاقية طيبة، رغم اختلاف الألوان والأجناس، إلا أن لكل منا حاسة أخلاقية مخيرة بين طريقيين وليست مسيرة، وتحدد التربية الأخلاقية ونوع الطريق والنبته التي نغرسها في نفوس صغارنا، إما أن تكون صالحة فيكون صاحبها مبصر بمفاتيح الخير ومدرك لعواقب الشر، وإما أن تكون فاسدة تهوى بصاحبها في غيائب الشر، وتكمن أهمية التربية الأخلاقية في بناء شخصية الإنسان منذ الطفولة، وخاصة في السنوات الأولى من عمره، والتي يترتب عليها تكوين السلوك المشكل للشخصية، إما شخصية تتمتع بحاسة خلقية خيرة، أو شخصية يطغوا على حاستها الشر، فالحاسة الخلقية نرى أنها ملكات الإنسان والتي تقوى وتتموا بالاهتمام والتربية الإيجابية، وتضعف وتموت بالإهمال. الحاسة الخلقية هي الكمانن الفطرية التي ولد الإنسان مزود بها ليدرك بها الأفعال المباشرة والغير مباشرة ليميز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، والحقيقة والسراب، فهي عقل القلب وعين الأخلاق في إدراك خيرية الأمور من ضرورتها، فعرفت في الإسلام أن مقرها القلب.

1 . القرآن الكريم، سورة القلم: الآية (4)

2 . الألباني: كتاب الأخلاق والصلة (1)، حديث رقم 92، الصحيحة (45)، ص28.

أولاً- أهمية الدراسة

تعود أهمية هذه الدراسة إلى الأسباب التالية:

١- يعد البحث في موضوع الأخلاق بوجه العموم، وفي الفكر الإسلامي كان أو الغربي من أهم القضايا التي تشغل جميع الحضارات، فهي لا تقتصر على الحضارة العربية والإسلامية فحسب، بل أصبحت اليوم انشغالاً مركزياً في الثقافات العالمية، ويعود ذلك إلى الحاجة الماسة لإدراك مختلف الآليات التي يعتمد عليها السلوك الإنساني، ومقارنته مع غيره بصورة أكثر موضوعية.

٢- الحاجة الماسة لنشر ثقافة الحس الأخلاقي، كالتسامح، التعايش، قبول الآخر، نمو العقل الأخلاقي، والضمير الخلقى، خاصة في ظل هذه الظروف الحرجة التي نمر بها. ومن هنا يجب غرس هذه الثقافة في نفوس وعقول النشء، وتنشئتهم على أسس أخلاقية.

٣- تأتي أهمية الدراسة في أنها تتناول قضية لها مسوغها الفلسفي والتاريخي؛ فالحس الخلقى كان وسيظل حالاً يطمح إليه الإنسان، طالما أنه يعيش مع آخرين، وطالما أنه يسعى إلى تحقيق حياة مشتركة معهم، مما يشير إلى أن تناول الحاسة الخلقية الفكر الإسلامي، وتحديدًا في حقل الفلسفة والثقافة، يبقى تناولاً راهناً، فالفلسفة كانت وستظل منطقتاً هاماً لطرح المفاهيم الأخلاقية، والبحث فيما إذا كان تحقيق هذا أمراً ممكناً.

ثانياً: إشكالية الدراسة

إن محور هذه الدراسة هو الإجابة عن التساؤل المحوري التالي: ما مصادر الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي؟ كيف تبلورت الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي؟ هل الحاسة الخلقية والضمير شيء واحد أم هم شيئين منفصلين؟ لكل واحد منهما وظائفه وخصائصه؟ ما هي طرق اكتساب الحاسة الخلقية؟ وهل هناك علاقة بين الحاسة الخلقية والإلزام الخلقى؟

ثالثاً: أهداف الدراسة

1- إن ما ترمي إليه الباحثة في هذه الدراسة، ليس فقط البحث في الجذور التاريخية، والأبعاد الدينية والفلسفية للحس الأخلاقي، وإنما التطرق إلى التوظيف الأخلاقي والحقوقى في العصر الحاضر لتلك القيمة الخلقية، ومحاولة تجاوز ما يطرحه هذا الهدف من إشكالات، وتبعاً لذلك تتجه الباحثة نحو رصد تفعيل مفهوم فلسفة الحس الأخلاقي، من خلال طرح بعض الأفكار، مشاركة في إثارة الحوار الذي نحن في أمس الحاجة إليه

في الفترة التاريخية؛ ليرقي إلى مستوى المهام الموكلة إليه، ومن ثم ننتقل إلى امكانية فهم الواقع ثم تجاوزه.

رابعاً: منهج الدراسة

لما كانت المناهج تتنوع في الفكر الفلسفي طبقاً لطبيعة الموضوع المراد دراسته، فإن المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي المقارن، ولا شك أنه يستقيم تماماً مع موضوع البحث، بما أن الباحثة سوف تقوم باتباع مفهوم الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، محللة الظواهر ذات العلاقة بالدراسة ومقارنة بينهما.

أولاً: مصادر الحاسة الخلقية وعواملها

قد يكون الضمير أول ما يطرأ على ذهن فلاسفة الأخلاق كواحد من مصادر الحاسة الخلقية، لذلك اختلفت التفسيرات باختلاف المدارس والمذاهب، سواء من الجانب الفلسفي أو الديني، فمنهم من ذهب بأنه شيء فطري، ومنهم من قال بأنه مكتسب من الخبرات الحياتية، واختلف العلماء والفلاسفة في تفسيرهم للضمير وفق الآراء الفلسفية والمعتقدات الدينية.

1: الحاسة الخلقية والضمير

يستخدم الإسلام الضمير بمعناه اللغوي فعرف لفظ الضمير بأنه ما ضمير في النفس والسر داخل خاطر، فتعددت الآراء في الإسلام؛ فجاء بأن للضمير ثلاث مصادر وهما (القلب- الفطرة- النفس). يقول أهل اللغة عن الضمير بأنه هو المضمور، والجمع (ضمائر)، أي ما تضره في نفسك ويصعب الوقوف عليه واستعداد نفسي لإدراك الخبيث والطيب في الأعمال والأقوال والأفكار والتفرقة بينهم، وجاء عند النحاة ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب⁽³⁾.

أ- مصدر القلب:

جاء الإسلام بكثير من الآيات والدلائل من القرآن والسنة لإثبات أن الضمير محله القلب فقال تعالى في كتابة العزيز: "لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ"⁽⁴⁾. وجاء في موضع آخر من آيات القرآن الكريم، فقال

3 . المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، الطبعة الرابعة، مادة (ضَمَرَ)، تحقيق مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 544.

4 . القرآن الكريم: سورة البقرة، آية 225

تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" (5)، كما عرف في اللغة العربية عند صاحب اللسان بأن الضمير محله القلب بصفته أنه مضمّر في النفس (6)، وبالتالي جاءت السنة النبوية بأن الضمير محله القلب والنفس معاً، فعن وابصة بن معبد (7) قال: أتيت رسول صلى الله عليه وسلم فقال: "جئت تسأل عن البر، قلت نعم، فقال استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" (8).

ب- مصدره الفطرة

اتجهت بعض الآراء بتكليف الضمير إلى التربية، وأن الضمير ليس بالقاضي الذي لا يخطأ في التفريق بين الخير والشر، ولا هو بالصواب المعصوم، فيمكن للضمير أن يصاب بالاضطراب والتردد ويقع في الأزمات، فيتغير بتغير الزمان والمجتمع (9)، وهنا لم يتم إنكار فطرية الضمير ولكنه نسب أن خيرية الضمير أو ضروريته مسئول عنها طبيعة التربية، والتي بدورها تختلف من مجتمع إلى آخر باختلاف الديانات والثقافات والعادات التي يتفق عليها معايير المجتمع، وأن كل إنسان ولد بنفس الفطرة ولكنها تغيرت بفعل السلوك المكتسب من التربية المستمدة من الدين.

ج- مصدره النفس

بالبحث عن لفظ ضمير في القرآن الكريم تبين أنه لم يرد في الآيات بالصورة الصريحة، ولكنها حملت في مكنونها معانٍ أشمل من لفظ الضمير ودلت على وجوده، وجاء الله سبحانه وتعالى ذاكراً في بعض آيات القرآن الكريم لفظ "نفس"، فجاء علماء النفس بأن النفس اللوامة هي الذات العليا، ولا يدرك التوافق بينها وبين الضمير إلا كل متأمل بدقة في معناها المستتر، فهي من تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل وفعل الموبقات،

5. القرآن الكريم: سورة ق: آية 37

6. سامي عفيفي حجازي: العقيدة والأخلاق في الإسلام، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، مصر 2006، ص 287.

7. رواه الإمام أحمد والدرامي بإسناد حسن عن وابصة بن معبد.

8. الإمام ذكريا يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج 3، باب الورع وترك الشبهات، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان 2011، ص 193.

9. سناء خضر: إشكالية الضمير وعلاقتها بالواجب عند كانط، ط 1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2010م، ص 224.

وهذا من فعل الضمير⁽¹⁰⁾ يتضح أن النفس اللوامة تتشابه في وظيفتها إلى حد كبير بالضمير، فكلاهما وظيفتهما المراقبة ومحاسبة صاحبها والتميز بين الخير والشر، فكلاهما يدفع صاحبه باللوم علي التقريط في عمل الصالحات أو الاصراف في عمل الموبقات.

2: علاقة الضمير بالحاسة الخلقية

تعد ماهية الضمير المسألة التي شغلت الكثير من الفلاسفة والعلماء، وانتهوا بأراء مختلفة وذلك تبعاً لاختلاف الأسس التي قامت عليها فلسفة كلاً منهم، وأهم هذه الآراء ما جاء به أصحاب الحاسة الخلقية فسوف تحاول الباحثة بيان الآراء التي تثبت أو تنفي علاقة الحاسة الخلقية بالضمير، فترمي الباحثة إلى الوصول لحل التساؤلات التي جالت بخاطرنا والتي جاءت على النحو التالي: هل الحاسة الخلقية لها علاقة بالضمير؟، هل الحاسة الخلقية والضمير شيء واحد أم هم شيئين منفصلين لكل واحد منهما خصائصه ووظائفه؟

جاء بدوي محاولاً تفسير علاقة الضمير بالحاسة أو ما يسمي الشعور، فيرى لكي نصف الضمير بكلمة أخلاقي، فلا يكون له الصفة إلا بوجود عقل يعمل كمقياس توزن الأمور تحت مسؤوليته، ولكي يكون لنا ضمير من المهم أن يسبقه الشعور أو الحاسة، فجاء في بعض اللغات الأوروبية كلمة "Conscience" تعبر عن الضمير والشعور معاً، ولكي نتمكن من معرفة المقصود هنا بالشعور يجب أولاً التفريق بين الشعور "Conscience" وبين المعرفة "Connaissance" فالأولى الوميض الذي ينبير الطريق أمام كل العمليات العقلية، سواء عمليات تخص المعرفة كالإدراك الحسي والحكم، أو الإحساس العاطفي أو الجمالي، وبالنسبة للمعرفة هي الشعور الذي يتخذه الفرد تجاه الأشياء، وبالتالي فإن الشعور يشمل كل عمليات العقل بالإضافة إلى المعرفة⁽¹¹⁾.

إن هذا الشعور ينقسم إلى عدة أنواع، ولكن يشترط ألا تتعارض هذه الأنواع مع صفات العقل، التي تتميز بأنها وحدة واحدة غير متجزئة، فكما جاء أرسطو إسناداً لهذا القول، بأن من الواجب أن تكون القوة التي تميز بين الأملس والأبيض قوة واحدة، وتكلم

¹⁰. توفيق محمد الجوهري: الصوم ورقابة الضمير، مجلة الوعي الإسلامي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س22 عدد (261)، 1986م، يونيو 18-27، ص2

¹¹. السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص123.

البعض أيضاً عن الشعور وخصوصاً في هذا العصر الذي يتسم بالفردية، ومنها جاءت تقسيم الشعور على النحو التالي⁽¹²⁾:

أ- **الشعور النفسي**: يعني هنا بأنه عكوف الفرد على التعرف على ذاته، معرفة نظرية، وتمثل هذه المعرفة البداية للمعرفة العلمية.

ب- **الشعور الجمالي**: هو الأثر الذي يفعله تردد المعطيات الخارجية في الإحساس، وكذلك يمثل شعور الارتياح الناتج عن الأشياء الجميلة داخل النفس.

ج- **الشعور الديني**: تكمن مهمته الأساسية في الرقابة والتوجيه للطاقة العقلية، الذي يرفع الإنسان من عالم المادة إلى عالم الروح، فيحول أنانية الإنسان الجشعة إلى حب ينتهي بأعلى درجات الحب الإلهي، أي الحب الخالص، وبما أن الحاسة الخلقية تعتمد بقدر كبير على الوحي الصادر من باطن الذات، إذاً فالشعور الديني هو من يبعث فيها القوة .

د- **الشعور الأخلاقي "الضمير"**

يعد أهم ما يتميز به هذا الشعور بأنه يهتم بالمستقبل، ليحدد السلوك الإنساني وفق ما جاءت به النية الطيبة، وبالمقارنة بينه وبين الشعور السيكولوجي، يتبين أنه يتميز بنوع من الموضوعية والحكم الذي لا يتأثر بالعاطفة، أما الشعور الأخلاقي فيتجه نحو السلوك العملي. بالإضافة لذلك ترى المدرسة الاجتماعية أن الإنسان لا يحكم على الأفعال بواسطة ضميره فقط، ولكن بواسطة ضمير المجتمع ككل، فنجد أن الآراء متضاربة فمنهم من نحى أن الحاسة الخلقية متأصلة في الإنسان وذهب آخرون أنها غريزية، رغم تأكيد الديانات أن الإنسان أحياناً يميل إلى الشر، والاندفاع نحو الخير من صفات النفوس التي لم تُدنس بالشهوات، فتدفع الحاسة الخلقية الإنسان إلى أن يدافع عن حق الضعيف وكذلك معاقبة الظالم، وبالتالي فنحن نحكم على الناس بالرجوع إلى مقاييس الحق الأخلاقية، ويتدخل في هذا الحكم جميع أنواع النشاط من سياسي إلى اقتصادي وتربوي⁽¹³⁾.

3: الحاسة الخلقية والإلزام الخلقية

تُعد الأخلاق في الإسلام هي المبادئ والقواعد التي يتم بناء عليها السلوك الإنساني، والتي جاء من أجلها التشريع الإسلامي، وفق غاية محددة وهو وجود هذا العالم على وجه كامل، لذا نجد أن الأخلاق هي جوهر الإسلام، ويتضح ذلك من الأحاديث التي

¹² . نفس المرجع، ص ص124 إلى126.

¹³ . السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق ص9.

جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سبيل المثال قوله الشريف "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وسوف تتناول الباحثة في السطور القادمة رؤية الإلزام الخلقى من منظور إسلامي، وكذلك مصادره وعلاقته بالحاسة الخلقية وكيفية تنميته، في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها العالم من إشكاليات أخلاقية لا حصر لها، والانفتاحات المتعددة من الثقافات وكذلك التغيرات التي طرأت على مجتمعنا العربي والتي نالت من المنظومة الأخلاقية، وسوف تحاول الباحثة تقديم بعض الاقتراحات أملاً منها أن تفيد ولو بجزء صغير في مساعدة الأجيال القادم.

أ: الإلزام الخلقى ومصادره من منظور إسلامي

عند استعراض كتب الأخلاق التي جاء بها الغرب نجد أن فيها الكثير من الثغرات، وبالتالي فإن هؤلاء الكتاب قد عرضوا لهذه المذاهب في العصور اليونانية القديمة، ومن بعدها الديانات اليهودية، والمسيحية، حتى المذاهب الأخلاقية في العصور الحديثة في أوروبا أي عصر النهضة والتي استمرت إلى الوقت الحالي، دون الذهاب إلى ما يتصل بالقانون الأخلاقي في الإسلام، ومع ذلك جاء القرآن الكريم متحدثاً عن قيمة الأخلاق العظيمة، غير مختص أبناء الحياة العملية للمسلمين فحسب، بل بالنسبة لأبناء البشر جميعاً، فالقانون الأخلاقي الذي جاء به القرآن الكريم يكمل النقص في تاريخ المذاهب الأخلاقية، وحل الكثير من المشاكل والصعوبات التي تثيرها دراسة الأخلاق⁽¹⁴⁾

تُعد الأخلاق في الإسلام أهم قسم من أقسام الشريعة الإسلامية، فنجد هذه الشريعة التي جاء بها الله سبحانه وتعالى لعبادته وحده لا شريك له على لسان نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والتي تتكون من ثلاث أقسام على النحو التالي⁽¹⁵⁾:

- **القسم الأول:** هو القسم المتعلق بالعقائد الأساسية كالأحكام التي لها علاقة بالذات الإلهية وصفاته الله سبحانه وتعالى، وكذلك الإيمان بالله ورسوله وملائكته واليوم الآخر، واهتم بهذا القسم وتضمنه علم الكلام.
- **القسم الثاني:** هو القسم الذي يهتم بأعمال الإنسان من صلاة، زكاة، الحج، الصوم، البيع، وأيضاً الهبة وغيرها من الأعمال التي نص عليها هذا القسم، واهتم بدراستها واحتوائها علم يسمى بعلم الفقه، وهو أحد العلوم الشرعية.

¹⁴ . السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص 65.

¹⁵ . يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، 1985م، ص5.

- **القسم الثالث:** يهتم هذا القسم بكل ما يتعلق بالنفس من تهذيب وإصلاح، ومثال على ذلك الأحكام التي تبين الفضائل المختلفة، وما ينبغي أن يتصف به الإنسان من سلوكيات (كالصدق، الإثار، الأمانة) وغيرها من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، ونأتي هنا إلى الصفات التي يجب أن يتخلى عنها (كالكذب، السرقة، الخيانة) وغيرها أيضاً من الصفات التي اهتم بها علم الأخلاق.

ب: علاقة الإلزام الخلفي بالحاسة الخلقية

تعددت الاتجاهات والمذاهب الأخلاقية تجاه الإلزام الخلفي، لذا اختلف فلاسفة الأخلاق منذ القدم حول تفسيرهم للإلزام الخلفي، وكذلك فهمهم لطبيعته، فقاموا بوضع مجموعة من المذاهب حول تفسير الإلزام الخلفي، رغم ما تبدوا عليه من تباين ظاهري، إلا إنه في الواقع تعاونت علي تناول الإلزام من جوانبه المتعددة، لإيضاح الغامض فيه، وجاء كل هذا من أجل وضع الدعائم للإلزام الخلفي، والبحث عن المثل الأعلى، وأيضاً للارتقاء بالإنسان وتحقيق السعادة والوصول به إلى حد الكمال⁽¹⁶⁾، ومنها فقد تمت الإشارة فيما سبق بأن مذهب الحاسة الخلقية يقوم على حدس حسي أو تجريبي، ويرجع ذلك إلى أن العلاقة بين الحاسة الخلقية وحواسنا الظاهرة، أوحى بقيام علاقة بين المذهب التجريبي في نظرية المعرفة ومذهب الحاسة الخلقية، فجاءت التجريبية بأن كل المعاني والتي تشمل المعاني الخلقية، جاءت من انطباعات الحس والوجدان، وبالتالي اتفق هنا مع مذهب الحاسة الخلقية⁽¹⁷⁾.

ارجع أصحاب مذهب الحاسة الخلقية الأخلاق إلى الفطرة السليمة، والعاطفة التي اختص الله سبحانه وتعالى بها الإنسان، فأعطوا للذات الداخلية والضمير الأخلاقي سلطة القوى للحكم على الفعل والتميز بين الخير والشر، وكذلك السلوكيات العامة المتفقة مع معايير المجتمع كونها سلوكيات أخلاقية أم دون ذلك، ونلاحظ أن الدين الإسلامي أرجع أيضاً التميز بين الفعل الأخلاقي وكذلك الخير والشر إلى الفطرة التي تأتي من فتوى قلب الإنسان والنابعة من ذاته والتي استقرت عليها نفسه حتى شعر بخيرية الفعل من شرويته، فجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن وابصة بن معبد "قال رأيت رسول الله صلى

¹⁶. عصام كمال المصري: الإلزام الخلفي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث "دراسة مقارنة في فلسفة القيم"، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية فرع دمنهور، 2008م، ص7.

¹⁷. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ط2، دار النهضة العربية، 1967م، ص315.

الله عليه وسلم، وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا وسألت عنه فقال لي: ادن يا وابصة، فدنوت منه؛ حتى مست ركبتي ركبته، فقال لي: يا وابصة، أخبرك عما جئت تسأل عنه؟ قلت: يا رسول الله أخبرني، قال: جئت تسأل عن البر والإثم، قلت: نعم، فجمع أصابعه الثلاث، فجعل ينكت بها في صدري، ويقول: يا وابصة، استقت قلبك، والبر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك⁽¹⁸⁾.

ويعد الرأي عند أصحاب مذهب الحاسة الخلقية في اختلافها عن حواسنا الخمس الظاهرة وكذلك في إصدارها للأحكام، في التعرف علي الخير والشر، فتغري الحاسة الخلقية صاحبها بفعل أولها وتجنب ثانيها، دون انتظار الجزاء، ميران هذه الحاسة وعدم إهمالها، كان هذا الفيصل الذي يفسر اختلاف الناس في الأحكام الخلقية تجاه السلوك الواحد، وكذلك اختلافهم حول حكم جمالي على شيء واحد، فالناس تختلف في الأحكام الجمالية وكذلك يتفاوتون في قدرتهم على النظر العقلي المجرد، ويرجع ذلك إلى تربية وتنمية الحاسة الخلقية لدي كل منهم⁽¹⁹⁾. قانون أخلاقي عام، يتفق عليه الجميع، وبالتالي يظهر تجاهل أصحاب مذهب الحاسة الخلقية، أن بعض العواطف تنجرف بالإنسان إلى التطرف بعيداً عن فعل الخير.

ثانياً: دلالات الحاسة الخلقية عند أتباعها في الإسلام

يعد البحث عن الخير والشر في فطرة الإنسان من أهم النقاط التي اهتمت ودارت حولها معظم العلوم الفلسفية، وخاصة علم الأخلاق، وهو ذلك العلم المختص في بحث سلوكيات الأفراد، ليحكم عليها بالخير والشر، ولأن هناك غريزة أخلاقية أطلقت عليها الفلسفة الحديثة مسمى عرف "بالحاسة الخلقية" وعُرف هذا الاتجاه باسم مذهب الحاسة الخلقية، والتي تمثلت مهمتها في إدراك الخير والشر، وكذلك إصدار الأحكام الخلقية المقيمة لتلك الأفعال، وبوجود هذه الغريزة داخل جميع بني الإنسان، جعلت منه مخلوقاً أخلاقياً مميزاً⁽²⁰⁾.

¹⁸. محمد السعيد بن بسيوني بن السيد بن محمد بن علي زعلول الابياني المصري: الموسوعة الكبرى لأطراف

الحديث النبوي الشريف، الجزء التاسع والأربعون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2021م، ص 790

¹⁹. عصام كمال المصري: الإلزام الخلقى بين الفكر الإسلامى والفكر الغربى الحديث، مرجع سابق، ص 17.

²⁰. أحمد محمد حسين الدغشي: الأساس الفطري في التربية الإسلامية، ط2، مركز الكتاب الأكاديمي، الإسكندرية،

2017م، ص 102.

بالتالي لو نظرنا إلى آراء أتباع هذه الحاسة مستشهادين على وجودها، وكذلك مدى كفاءتها على إصدار الأحكام الأخلاقية "إن الشاهد على وجودها يبدوا في أحكام الأطفال وغير المتعلمين، حين تصدر على الأفعال مباشرة دون تفكير فيها أو ترو في نتائجها، فالقروية تنفر من مجون الخالعات من بنات المدن، والخدام تحقر سيدتها المستهتره وتضيق بسلوكها، وكلتاهما تصدر حكماً دون تفكير فيما يحتمل أن يترتب على الخلاعة والمجون من آثار اجتماعية سلبية، هذا هو الحكم المباشر المطلق الذي يصدر من حاستنا الخلقية الكامنة في طبيعتنا، دون أن يفتر وجودها إلى تعليم أو تثقيف"⁽²¹⁾.

إن هذه الحاسة لها صفة إنسانية بحتة، وكذلك وثيقة الصلة بفطرة الإنسان وطبيعته⁽²²⁾، أي أن الحاسة الخلقية انبعث فطري، وأن القانون الأخلاقي قد طبع في النفس الإنسانية منذ خلقها، فقال تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"⁽²³⁾ بالإضافة إلى أن هذه الحاسة دائماً ما تكون عرضة للطمس، وذلك يكون نتيجة للتعارض مع ما قد تأمر به أهواء النفس ورغبتها مع الحاسة الخلقية، وأيضاً نتيجة لبعض العادات والتقاليد في الوسط الاجتماعي، والتي يمكن أن تزين لها الأفعال التي ليس لها نصيب من الخلق⁽²⁴⁾.

إن الحاسة الخلقية الفطرية معرضة للتحريف، وذلك يمكن أن يحدث بفعل المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان وما يتلقاه من علوم وثقافات تجعل منا شعوب وقبائل مختلفين وكان دليل على ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"⁽²⁵⁾ ففطرة الطفل تختلف عن فطرة الإنسان العاقل، وفطرة الحضر تختلف عن أهل الريف، وهو ما تحكم به العادات والتقاليد على الإنسان، وكما ذكر من قبل ما هو مسموح في مجتمع نجده فعل غير أخلاقي في مجتمع آخر، وخير مثال هو ما نجده واضح في التباين السلوكي بين شعوب الغرب وشعوب العرب.

21. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 312-313.

22. أحمد محمد حسين الدغشي: الأساس الفطري في التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 102.

23. القرآن الكريم: سورة الشمس: آيات 7-8

24. محمد يوسف السماسيري: فلسفات الإعلام المعاصر في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالي للفكر

الإسلامي، ط1، 2008م، ص 305.

25. القرآن الكريم: سورة الحجرات: آية 13

إن سبيل هداية هذه الحاسة الخلقية، والتي يعمل ضمير الإنسان حارساً عليها، بعث الله سبحانه وتعالى النبيين بالرسالات التي توضح ما ينبغي أن يقتضيه الإنسان من أفعال وما لا ينبغي أن يفعل⁽²⁶⁾، وبالتالي تبدوا هذه في عالم الأخلاق شبيهة بحاسة السمع في عالم الأصوات، وكذلك حاسة التذوق في عالم المذوقات؛ فالأنف يميز بين الروائح ويفرق بين قبيحها وأحسنها، وكذلك الحال في الحاسة الباطنة "الحاسة الخلقية" فهي وظيفتها لإدراك الخير وتمييزه عن الشر بذلك الحدس المباشر، ولكنها لا تقوى معه على التفسير لنا عن السبب في خيرية الأفعال وشريرتها⁽²⁷⁾.

1- الحاسة الخلقية وانعكاساتها على الفكر المجتمعي:

تعد رؤية الإسلام الأخلاقية للإنسان رؤيه مختلفة عن النحو الذي تنظر به الليبرالية التقليدية، فكانت نظرة الفكر الاجتماعي الإسلامي إليه، على أنه يدرك الخير بصورة ذاتية وتدفعه حاسته الخلقية للسير في ركابها، مما يفرض تخفيف القوانين المقيدة لسلوكه، وذلك لأن هذه الحاسة سوف تقوم بمنعه من اقتراف أي فعل يضر بغيره، بالإضافة إلى ذلك نجد أنه يختلف أيضاً عن رؤية الفكر السلطوي، والذي جاءت رؤيته على أنه كائن شرير، وافترض هذا الفكر وجوب تقيد نشاط الإنسان إلى الحد الذي يسلبه كل حرياته، حتى أصبح وجوده بلا معنى، أي أنه نظر للإنسان على أنه لديه الدافعية للفساد الأخلاقي كما لديه الدافعية للصلاح الأخلاقي.

رغم امتلاك الإنسان لحاسة خلقية يفترض أنها تدفعه للالتزام الأخلاقي، إلا أن للإنسان نوازح داخلية تحيط به من بيئة فاسدة، يمكن لها أن تسبب في طمس هذه الحاسة الخلقية الفطرية، وبذلك فإن دور الفكر الإسلامي هنا جاء في التنظير للطريقة التي خلالها يمكن من إقامة البيئة الاجتماعية والوسط الخير الذي يكبح الرذائل وينمي الفضائل، ويضمن للإنسان في ذات الوقت تنشئه سليمة أخلاقياً، ويتم ذلك وفق آليات سليمة اجتماعياً، والتي يتم خلالها مراقبة السلوك الأخلاقي للفرد ومدى انحرافه عن الصواب، ورده إليه بالعقاب إذا تطلب الأمر.

2- الحاسة الخلقية وانعكاسها على الفكر الإعلامي:

جاءت رؤية الفكر الإسلامي لأخلاقية الإنسان على الفكر الإعلامي، عن الكيفية التي يمكن بها الإعلام التنظير للمساعدة في زراعة وترسيخ أخلاقيات الإسلام السمحة،

²⁶. محمد يوسف السماسيري: فلسفات الإعلام المعاصر في ضوء المنظور الإسلامي، مرجع سابق، ص 305.

²⁷. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص ص 313-314.

والتصدي لكل ما يتعارض معها، وكذلك وضع الضوابط اللازمة التي خلالها يمكن تلاشي الانحرافات التي يمكن لها أن تحدث في مجال العمل الإعلامي، وذلك يرجع إلى أن القائمين على هذا العمل لديهم الدوافع التي يمكن أن تتحرف بهم عن الإطار الأخلاقي الذي جاء به الإسلام، وبالتالي معالجة هذا الانحراف عن طريق إستراتيجيات مناسبة. مثال على ذلك ليس في وسع الإنسان رؤية شيء أخضر اللون، أو أن يشعر بألم في الأسنان متى يريد، ولو كان في وسع الإنسان فعل ذلك، لتطلب وجود المعرفة منها خارجياً وهذا بلغة علم النفس، وهذه المعرفة تستلزم وجود وسيط، وهذا الوسيط طبقاً لما جاء في علم الأعضاء، هو عضو الإحساس، فهذا ما تشترك فيه الحواس الظاهرة مع بعضها البعض⁽²⁸⁾.

تكمّن قوة الحاسة الخلقية في أنها لا تقتصر إلى وجود عضو جسماني كي تزول وظيفتها بإزالته، كما هو الحال في حواسنا الظاهرة، فالناس يستخدمون هذه الحاسة بمجرد أن يتهيأ لهم الشعور الواعي فتمتوا هذه الحاسة ببطيء، وفي البعض دون البعض الآخر⁽²⁹⁾.

ثالثاً: الحاسة الخلقية وطرق اكتساب الأخلاق

تعد النفس البشرية دائماً في حالة من الاستعداد لاكتساب العديد من المهارات اليومية من البيئة المحيطة، سواء أكانت الأسرة أو المحيط الخارجي، ورغم اجتماع العديد من الدراسات حول فطريتها، إلا أنه لا يمكن إنكار أن البعض منها مكتسبة، وذلك بتنمية الوازع الديني داخل نفوس النشء منذ الصغر. يعد قول ابن القيم أن الإنسان يمكنه اكتساب الأخلاق في ثلاث أشياء (العلم، والوجود، والصبر)، فالعلم وسيلة ومرشد لمواضع بذل المعروف، والتفرقة بينه وبين المنكر، وترتيبه في وضع مواضعه، فلا يضع الغضب موضع الحلم، ولا الإمساك موضع البذل، بل يعرف مواقع الخير والشر ومراتبها، فالعلم وسيلة لمعرفة الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام، ووسيلة لمعرفة الأنواع الرديئة المنهي عنها، فدون العلم لا يدري المسلم بأي علم يختلق، ومن أي خلق يتجرد⁽³⁰⁾، فأكد رسول

²⁸. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص314.

²⁹. نفس المرجع، ص315.

³⁰. ميسون محمد عبد القادر مشرف: التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م، ص42.

الله صلى الله عليه وسلم على دور العلم فيقول: "إنما العلم بالتعليم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه"⁽³¹⁾

1: الحاسة الخلقية بين الفطرة والاكْتساب

تعددت الآراء في تفسير الحاسة الخلقية فمنهم من يرى انها مكتسبة والأخر يرى أنها فطرية، فيسميها البعض بأنها الحاسة السادسة الخفية، فيكاد يكون وجود هذه الحاسة شيء مفروغ منه، إلا أن الصعوبة تكمن في تحديد مكانها وكذلك عملها ووظيفتها، لذا أعتقد أنها تظهر في عملية الاستشعار عن بعد، وكذلك اعتبرها الآخرون من الحدس، وأيضاً يرون بأنها قدرة خفية على التوقع أو الشعور الداخلي، وكذلك رآها البعض بأنها الضمير أو الوجدان يعتقد البعض بأن الحاسة الخلقية أو ما يسمونها البعض بالضمير فطري في الإنسان، واتجه البعض بأنه مكتسب، وجاءت الدلائل على النحو التالي⁽³²⁾:

أ- الاتجاه الأول (الفطري): يحتج بما يفعله الأطفال والبدائيون من سلوكيات تدل على الوجود الفطري لهذا الضمير أو الوجدان، ودليلاً على أنه حي ويقظ داخل النفس، قد يبكي الطفل خوفاً على طفل آخر من السقوط من مكان عالٍ، بالإضافة إلى ذلك الإنسان البدائي يمكنه أن يحسن إلى غيره، أو يحميه ويقوم بعمل يدل على وجود حاسة خلقية.

ب- الاتجاه الثاني (المكتسب): يؤكد هذا الاتجاه أن الحاسة الخلقية أو الضمير مكتسب بالتربية وبالتوجيه والتعليم، ويتم ذلك وفق مفاهيم معينة، وحثهم في ذلك هو اختلاف قيمة معينة عند إثنين من الأمم، وكذلك عند أفراد كلاً منهم، فالذي يراه الإنسان العربي شراً قد يراه الإنسان الغربي خيراً ويمارسه دون أي تأنيب من صوته الداخلي، فإن لم يكن الضمير مكتسب لأصبح معيار الخير والشر واحداً عند كلا من العرب والغرب.

يعد الرأيين السابقين قد أغفلوا ناحية مهمه لمصلحة الأخرى، فالاتجاه القائل بفطرية الضمير، قد أغفلوا قابلية الإنسان للتعليم، وكذلك إمكانية تعديل السلوك والمفاهيم وفق ما يتعلمه من بيئته، وكذلك الخلط بين المفاهيم الفطرية التي ليس للإنسان حيلة فيها، كحرص الإنسان على الحياة وتجنب الأذى، وبين الموضوعات المكتسبة، كحسن المعاملة والتصرف، وأيضاً بالنظر إلى الرأي القائل بأنها مكتسبة، قد أغفل بناحية مهمة من نواحي

³¹. الألباني: كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد1، باب العلم والسنه والحديث النبوي، رقم الحديث342،

ص670

³². حسن عبد الرازق منصور: بناء الإنسان بين النظر والعمل، ط2، أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان

2013م، صص65-66.

الفطرة، وهي ما تعرف بالاستعداد، أي الاستعداد لعمل الخير، ويكمن هذا الاستعداد في كون الحياة ذاتها أول درجة من درجات الخير وهذا من أحد الأدلة الكافية على الجانبى الفطرى من الضمير .

2: أسس بناء واكتساب الحاسة الخلقية

تعد الحاسة الخلقية الفطرة السليمة التي خلق الإنسان مزود بها، فهي أساس ما جاءت به الكتب السماوية والشرائع محته الإنسان على تنظيم علاقته بكل ما يحيط به، فتتظم علاقة الإنسان مع ربه من حيث العبادة، وكذلك في علاقته مع غيره من بني جنسه، بما يحقق له السعادة، التي تسعى لتفسيرها كل فلسفات العلوم، فلو نظرنا إلى أسس البناء الأخلاقى لوجدناها في الصورة المثلى التي حققها الأنبياء والرسل، في القيم الأخلاقية، فوصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بكثرة الصدق، فقال تعالى: "أَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا"⁽³³⁾، وجاء إسماعيل عليه السلام واصفاً إياه ربه في كتابه العزيز فقال تعالى: "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا"⁽³⁴⁾، وجاء لقمان الحكيم موصوفاً بالحكمة فقال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ"⁽³⁵⁾، وجاء خاتم الرسل ونبي العالمين محمد صلى الله عليه وسلم بصفات عدة منها التواضع والرحمة، فقال تعالى "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"⁽³⁶⁾.

3- طرق اكتساب الأخلاق الحسنة:

تعددت الطرق التي يمكن للإنسان إكساب الأخلاق الحسنة خلالها لتنمية حاسة الخلقية ويتضح أهمها في النقاط التالية⁽³⁷⁾:

أ- سلامة العقيدة: تدفع العقيدة السليمة صاحبها إلى مكارم الأخلاق واكتساب الخير منها من صدق، كرم، حلم، وشجاعة، وكذلك ترده عن مساوئ الأخلاق، من كذب وشح وطيش.

33 . القرآن الكريم: سورة مريم، آية 41

34 . القرآن الكريم: سورة مريم، آية 54

35 . القرآن الكريم: سورة لقمان: آية 12

36 . القرآن الكريم : سورة آل عمران: آية 159

37 . ميسون محمد عبد القادر مشرف: التفكير الأخلاقى وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة

الجامعة الإسلامية بغزة، مرجع سابق، ص42.

ب- **مجاهدة النفس:** تجدي المجاهدة دوراً كبيراً في اكتساب الأخلاق، وتنمية الحاسة الخلقية لدي الإنسان، بالتالي فإن التحلي بالفضائل تتحقق بجهاد النفس البشرية، ولا يعني هذا أن المرء يجاهد نفسه مرة أو إثنين، ولكن يعني هذا مجاهدة المرء نفسه بصورة مستمرة، وبالتالي يكمن الجهاد في مقاومة الإنسان الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن من الأخلاق، وجاء الرسول الكريم مؤكداً على مكانة يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله".

ج- **الدعاء:** يعد الدعاء ليرفع أكف التضرع ليرزقه حسن الخلق، ويصرف عنه سيئها، فكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم اهدني لأحسن الأخلاق وأحسن الأعمال، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت"، إن الدعاء والتضرع من أهم العبادات التي حث الله الإنسان عليها للتقرب بها إليه، فهي الوسيلة التي تقرب العبد من ربه ليرفع بها عنه سيئ الأقدار ويقرب له أحسنها، فهي وسيلة الإنسان لتربية الحس الأخلاقي بداخل ليرتفع صوت الحق، الخير، العدالة، الواجب، ويضمر صوت الباطل والشر.

د- **محاسبة الإنسان ذاته:** تكمن محاسبة الإنسان لذاته في تأمله لما يجلب له سوء الخلق، وما يحته على التقصير الذي يجلب له الحصرة والندامة.

هـ- **تجنب الغضب:** يعد ضبط الإنسان لذاته عند الغضب، وكبح جماحها ليحفظ على نفسه عزتها وكرامتها، ومنها ينأى بنفسه عن مغبة الندم وذل الاعتذار، وذلك لأن الغضب ما هو إلا جمرة توقد في القلب، وتدعوا صاحبها إلى الانتقام، ودليل على ذلك ما أمر به رسول العالمين محمد صلى الله عليه وسلم، حين جاءه رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا أخذت به دخلت الجنة ولا تكثر علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تغضب"⁽³⁸⁾

و- **مصاحبة أهل الأخلاق والفضيلة:** دائماً ما يكون الإنسان مولعاً بمحاكاة من حوله، وهذا من أعظم ما يربي مكارم الأخلاق ورسوخها في نفس الإنسان، بالتالي إذا وفق المرء لصحبة الأجلء والعقلاء، أعانوه على كل خير، وقصروه عن كل شر، ومنها يعني أن الإنسان ينصاع إلى ما يسحبه عليه صاحبه؛ فلو كان خير اتجه به إلى طريق الفضيلة ولو كان شراً نحى به إلى عالم الرزيلة.

³⁸. الألباني: كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد3، باب الإيمان والتوحيد والدين والقدر، حديث رقم1327،

ز- التفكير والتدبر في السنه النبوية والتعرف على سيره الصحابة الكرام: جاءت السيرة النبوية بأعظم صوره عرفتها البشرية لتوضح لنا خلق المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكارم كان يتحلى بها أكمل البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام.

4: وسائل تربيته الحاسة الخلقية بين الترغيب والترهيب

تعددت وسائل تربية الحاسة الخلقية، فكان القرآن الكريم منبع فياض لتربية هذه الحاسة، فجاء العديد من آيات القرآن الكريم أو بالأحرى كله جاء بغرض تربية الإنسان وتوجيهه تجاه الخير سواء أكان هذا التوجيه بالترغيب أو الترهب، فدائماً ما جاء القرآن بذكر آيات الترغيب سابقة على الترهب، بالتالي فإن الدعوة إلى تربية الحس الأخلاقي لها عدة وسائل وأساليب منها: أسلوب الأمر والنهي واسلوب الترغيب والترهب، لذا فنجد أن الحس الأخلاقي هي الممر الذي يسير الإنسان خلاله للوصول إلى روحه المجردة، والتي خلالها يتطلع إلى عالم الملكوت والغيب؛ ليحقق سعادته، وتكمن هذه السعادة في تربية الفضائل الأخلاقية.

يخضع الحس الأخلاقي أو ما يسميه البعض بالضمير الفطري، لإصول التربية وقواعدها، فنجده قابل للتربية والتنمية، وفق ممارسة قواعد الخير وبدراسة كمال فضائل الأخلاق، وما ينتج عنها من ثمار جماعية وفردية، وذلك وفق مواعظ الهداية الدينية والوصايا والنصائح الربانية، ويتم ذلك وفق ما يسمى بالترغيب والترهب، والوسائل التربوية، وأفضل موجه له هو الالتزام بطاعة الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه ورجاء ثوابه⁽³⁹⁾. فتربية الحاسة الخلقية لم تقتصر على النفس بالرعاية الأخلاقية والروحية فقط، بل يؤخذ بالحسبان سياسة الجسد بالعناية الطبية والرياضية، ومن أبسط صور التربية منح الإنسان حرية الخيار والقرار، فشدد كانط على الثقافة التربوي الذي يربط الفرد بالإنسانية للفعل الأخلاقي⁽⁴⁰⁾، وبالتالي فإن إهمال تربية هذه الحاسة يجعلها تضمر وتتناقص حتي يُفقد الحس النبيل ويتحول بوسائل التربية الفاسدة إلى جندي من جنود شيطان الإنسان، فيصبح مؤازراً له في وسواسه ونزغاته⁽⁴¹⁾.

³⁹. محمد حمدون عبدالله: المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، 2015م، ص 194.

⁴⁰. محمد شوقي الزين: الثقافة في الأزمنة العجاف-فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، ط1، المنهال للنشر،

2013م، ص ص44-194، نقل بتصرف.

⁴¹. محمد حمدون عبدالله: المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص194.

يعد الترغيب والترهيب من أهم وسائل التربية الخلقية بصوره عامه وتربية الحاسة الخلقية بصوره خاصة، فكان للوعظ والإرشاد دوراً كبيراً في عملية التربية والتي جاءت على النحو التالي:

أ- **الترغيب:** كثرت آيات الترغيب في القرآن الكريم، والتي عملت على ترغيب الناس في العمل الصالح، وجاء هنا الأصل من الترغيب هو ترغيب الناس لنيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه، وجاء أيضاً الترغيب بالعمل الصالح ملحوقاً بنعيم الدنيا والآخرة، مما يحقق للإنسان سعادته في الدارين⁽⁴²⁾.

ب- **الترهيب:** يعد الترهب من الوسائل التي تحمل الإنسان في الابتعاد عن المعاصي كبيرها وصغيرها، وجاء أصل الترهب في تخويف من عقاب الله وعذابه⁽⁴³⁾، كما في قوله تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" ⁽⁴⁴⁾، وجاء أيضاً "وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"⁽⁴⁵⁾

إن الترغيب والترهيب من الوسائل التي سلكها الرسل في الوعظ والإرشاد، فيرغبون المطيع بعظيم الثواب ويرهبون المعرض بأسه وعذابه وانتقامه، فكان لله حكمه في جمعه بين السلوبين، وهو التنشيط للطاعة، فيصبح العبد راغباً وراهباً وراجياً لرضى الله لتصير النفس بين بين الرجاء والخوف، حتى تسموا بمراتب الحس الأخلاقي لتصبح مطمئنة، فتظل النفس متأرجحة بين الترغيب والترهيب، حتى تطيب جراحها ويستقيم سيرها.

خاتمة

الحاسة الخلقية لو نظرنا إليها لوجدناها مرتبطة ارتباط وثيق بتكوين الإنسان الأخلاقي وكذلك علاقتها القوية بالدين، بالتالي فهي مرتبطة ارتباط وثيق بالكثير من المصطلحات ومنها الإلزام الخلقي والذي يمثل حجر الأساس واللبنة الأولى في المنظومة الأخلاقية، فنشأ الإلزام الخلقي عن طبيعة الإنسان وخلال نصل إلى المثل من القيم سواء على مستوى الأفراد أو المجتمع، فلا يستطيع الفرد التهاون بالفعل، وبالإضافة إلى ذلك

⁴². خليفة حسين العسال: التربية الخلقية في القرآن الكريم، حولىة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر، العدد العاشر ص507-550، 1992م، ص527.

⁴³. خليفة حسين العسال: التربية الخلقية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص539.

⁴⁴. القرآن الكريم: سوره طه، آية:124

⁴⁵. القرآن الكريم : سوره الإسراء، آية :10

يرتبط الحس الأخلاقي بالضمير والذي عرف بأنه القوة الذاتية والملكة التي خلالها يصدر الإنسان الأحكام وهناك من قال بأن الضمير والحاسة الخلقية شيء واحد بعد أن تناولت الباحثة الحاسة الخلقية في الفكر الإسلامي عواملها ومصادرها ودلالاتها وطرق اكتسابها، والتي توصلت إلى طبيعة علاقة الحاسة الخلقية بالضمير وهو إجابة على التساؤل التي جال بذهنها وسعت جاهدة للإجابة عنه خلال هذه السطور القليلة السابقة، والذي جاء على النحو التالي: هل الحاسة الخلقية والضمير شيء واحد أم هم شيئين منفصلين؟ لكل واحد منهما وظائفه وخصائصه وبعد أن عرضنا الضمير والحاسة من منظور إسلامي، وعلاقة الضمير بالحاسة الخلقية ولكي نفرق بين الحاسة الخلقية والضمير.

بالتالي يجب أولاً التفرقة بين الإدراك الحسي والحكم والإحساس العاطفي، فالحاسة الخلقية شعور والضمير معرفة، فالمعرفة هي ما تثير أماننا العمليات العقلية والشعور هو ما يتجه بالفرد تجاه الأشياء من خيرها وشرها لذا فإن الشعور أعم وأشمل لأنه يشمل جميع العمليات العقلية وكذلك المعرفة، رغم تفسير الكثير من الفلاسفة بأن الحاسة الخلقية والضمير على إنهم شيء واحد إلا أن هناك من جاءوا على أنهم منفصلين لكل منهم خصائصه ووظيفته أمثال بطر الذي جاء بقصور الحاسة الخلقية، وعالج هذا القصور بمنهج وضعة عن الضمير.

فتري الباحثة أن الحاسة الخلقية هي ملكة مستقلة بذاتها عن باقي الحواس رغم فطرتها إلا أنها تختلف من شخص لآخر في أداء وظيفتها شأنها شأن حاسة البصر والشم واللمس فإنها تختلف في حدته ونقصه من شخص لآخر، ورغم أن دكتور توفيق الطول ذكر اختلافها عن الحواس الخمس المعروفة لدى الإنسان وهي الحواس التي لها أعصاب قحفية مسؤولة عن حدتها ونقصها، إلا أن هناك من يرى أنها تشبه عمليات التخاطر والاستشعار عن بعد.

بالتالي فالحاسة الخلقية لم تقتصر علاقتها بالضمير فحسب ولكن كان للإلزام الخلقي علاقة واضحة مع الحاسة الخلقية، فكان الإلزام الخلقي سلطه تقوم خارج الذات بينما الحاسة الخلقية هي الفطرة السليمة التي اختص الله بها الإنسان فكان لها السلطة والقوي للحكم على الأفعال وجعل الضمير الحارس الأمين عليه.

قائمة المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم
٢. المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، الطابعه الرابعة، تحقيق مجمع اللغة العربية، مكتبه الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
٣. السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م
٤. الإمام ذكريا يحي بن شرف النووي: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج3، باب الورع وترك الشبهات، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان 2011م.
٥. أحمد محمد حسين الدغشي: الأساس الفطري في التربية الإسلامية، ط2، مركز الكتاب الأكاديمي، الإسكندرية، 2017م.
٦. الألباني: كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد1، باب العلم والسنة والحديث النبوي، كتاب إلكتروني.
٧. الألباني: كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد3، باب الإيمان والتوحيد والدين والقدر، كتاب إلكتروني.
٨. الألباني: كتاب الأخلاق والصلة(1)، كتاب إلكتروني.
٩. بتول إبراهيم أحمد مغيربي: المسؤولية في القرآن الكريم(مدلولها، أنواعها، فوائدها)، مجلة دراسات عربية وإسلامية، يصدرها مركز اللغات الأجنبية والترجمة، جامعة القاهرة، مجلد(33) يونية، 27-80، 2011م.
١٠. توفيق محمد الجوهري: الصوم ورقابة الضمير، مجلة الوعي الإسلامي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س22 عدد (261)، 1986م، يونيو 18-27
١١. بتول إبراهيم أحمد مغيربي: المسؤولية في القرآن الكريم(مدلولها، أنواعها، فوائدها)، مجلة دراسات عربية وإسلامية، يصدرها مركز اللغات الأجنبية والترجمة، جامعة القاهرة، مجلد(33) يونية، 27-80، 2011م.
١٢. توفيق محمد الجوهري: الصوم ورقابة الضمير، مجلة الوعي الإسلامي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س22 عدد (261)، 1986م، يونيو 18-27.
١٣. توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ط2، دار النهضة العربية، 1967م.

١٤. توفيق محمد الجوهري: الصوم ورقابة الضمير، مجلة الوعي الإسلامي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س22 عدد (261)، 1986م.
١٥. حسن عبد الرازق منصور: بناء الإنسان بين النظر والعمل، ط2، أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، عمان 2013م.
١٦. خليفة حسين العسال: التربية الخلقية في القرآن الكريم، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر، العدد العاشر ص507-550، 1992م.
١٧. سناء خضر: إشكالية الضمير وعلاقتها بالواجب عند كانط، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2010م.
١٨. سامي عفيفي حجازي: العقيدة والأخلاق في الإسلام، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، مصر 2006م.
١٩. سيد أحمد عثمان: المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة-دراسة نفسية تربوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979م.
٢٠. عصام كمال المصري: الإلزام الخلقي بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي الحديث "دراسة مقارنة في فلسفة القيم"، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية فرع دمنهور، 2008م.
٢١. محمد السعيد بن بسيوني بن السيد بن محمد بن علي زعلول الأبياني المصري: الموسوعة الكبرى لأطراف الحديث النبوي الشريف، الجزء التاسع والأربعون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2021م.
٢٢. ميسون محمد عبد القادر مشرف: التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم علم النفس، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.
٢٣. محمد حمدون عبدالله: المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، 2015م.
٢٤. محمد شوقي الزين: الثقافة في الأزمنة العجاف-فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، ط1، المنهال للنشر، 2013م.
٢٥. محمد يوسف السماسيري: فلسفات الإعلام المعاصر في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط1، 2008م.
٢٦. يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1985م.